

اريج الخليج

او

تذكار القسطنطينية

لحضرة الكاتب الفاضل قسطاكي افندي الحمصي

اما القسم الثالث وهو الخليج فالمراد منه القرى او البلاد الصغيرة التي على ضفتيه ممتدة على مدى البصر مسافة ساعتين او اكثر على جري البواخر الخيرية . وكل هذه القرى مصايف لا غنىء القسطنطينية واكبرها وبها الفنادق الواسعة والمطاعم الكثيرة والدساكر العديدة والحانات الجميلة والدور المزخرفة والمنازل الرحبة والجواسق الانيقة والقصور البديعة وبها لسفراء الدول صروح تكتنفها البساتين والجنان . وبها كثير من الاودية والهضاب وكلها مكتسية بالاشجار الباسقة المشتبكة والادغال المحتبكة والمروج والعياض والازهار والرياض والعيون تتدفق بماء يروي عن السلسيل والعروش احكمتها يد الطبيعة للمبيت والمقبل لا يدخلها النسيم حتى يغدو بليلاً ولا تصدح اطيارها الا ترتيباً وفوق كل هذه البدائع منظر

الخليج الرابع

بقعة خصها الاله ببعض من مزايا فردوسه العلوي

فهي تجلو لاعين الحس شيئاً من كمالات حسنه المعنوي

اما القسم الرابع من هذه العاصمة وهو بيك اوغلي او بيرا فهو محط رحال الفرنجة الذين يقصدونها واكثر شوارعهم مستقيمة غير ان بلاطها لا يختلف عن استنبول وباقي الاقسام فهو من الظران التي تقري الاقدام وتتقب

العظام الا الشارع الكبير المعروف بالشارع المستقيم (طوغري يول) وبعض الجواد التي لا تتجاوز عدد الانامل . وفي هذا القسم اشهر الفنادق والمطاعم ودور القهوة والكثير منها يحاكي ما في عواصم اوربا اتقاناً وزينة واخصها فندق « بيرا بالا ص » لحسن موقعه وجمال هندسته وثمين اثاثه . وفي هذا القسم قصور سفارات الدول كلها واكثرها مغان واسعة في وسط بساتين وحدائق منسوقة احسن نسق . وفيه بساتين عامة يستأجرها اناس من الدوائر البلدية يدفع داخلها غرماً واحداً وهي مرتبة على الطريقة الفرنسية لا تختلف عن بساتين اوربا العامة في شيء واكثرها يطل على البحر وما حوله وبها كراسي ومقاعد لمن يرغب في شرب شيء من القهوة او الشراب فيدفع قيمة ذلك . وفي هذا القسم من المدينة كثير من الدكاكين التي تحاكي دكاكين اوربا في كثرة السلع وحسن تنسيقها الا ان الباعة بها ليسوا على شيء من رقة وآداب باعة اوربا فاذا سألت احدهم عن قيمة السلعة نظر اليك اولاً من الفرق الى القدم وتفرس فيك لينظر هل انت اهل لمشتري سلعته فان احسن بك الظن اقبل عليك واستام منك اربعة او خمسة اضعاف القيمة فان كنت غرماً او خجلت من المساومة وسعرت السلعة بنقص قليل عما استام بها انشب فيك اظفاره وقبض منك القيمة كلص في راتعة النهار بلا خجل ولا استحياء وخرجت من دكانه بصفقة المغبون وان لم يحسن بك الظن اي رآك ممن لا تنفذ فيهم مخرقة المحتالين اقبل اليك متشاقلاً ثم عند تسعيرك السلعة ينظر اليك باستنكاف كأنه يأسف على الكلمة التي اضاعها بالقائم على مسمعك ثم يولي وجهه عنك بمنتهي الحشونة واكثرهولاء هم

الارمن ثم الروم فالفرنجية لكنهم على درجات متفاوتة في القحة والاحتيايل
وفي هذا القسم محلة غلطة التي هي على ساحل الحليج وهي مركز تجارة
الآستانة فيها أكثر دور البُرْد الاجنبية والعثمانية ايضاً والمصارف والبيوت
التجارية الكبيرة ويُنزل اليها من بيك اوغلي بمئة وست درجات وقد
يذهب اليها من طريق اخرى اطول بركوب المركبات الحديدية (الترامواي)
ولتقريب المسافة والوصول باتم الراحة قد خرقوا نفقاً تحت الارض تجري
فيه مركبات بخارية مربوطة بجبال من شريط الحديد اذ انها تنزل بكل
سهولة لشدة الانحدار الكائن بين بيك اوغلي وغلطة لكن اصعابها
لا يتيسر بغير هذه الجبال التي تمنعها من الرجوع القهقري فيصل الراكب فيها
باقل من دقيقتين الى احدي المحلتين صعوداً ونزولاً باجرة لا تزيد عن
الثلاثين بارة ولا تنقص عن العشرين . ومن محلة غلطة هذه يذهب الى
استنبول ولكن لما كانت المسافة بينهما تزيد على الساعتين لا ضطرار للذهاب
ان يدور حول اللسان المسمى بقرن الذهب الممتد من الحليج فاصلاً بين
القسمين فقد مدوا منذ عهد قريب جسرين من الخشب على اقواس وقوائم
حديدية فوق قرن الذهب المذكور تمر عليهما المركبات والحيل والناس فيصل
الماشي في اقل من عشر دقائق ويدفع للعبور على احد الجسرين عشر بارات
واما المراكب فيُدفع لعبورها غرشان ونصف

وفي جميع اقسام الآستانة وبعض قرى الحليج الكبيرة يوجد مجالس
او كما يقال دوائر للبلدة تسمى الدوائر البلدية واكثرها اهتماماً دائرة بيك
اوغلي . لكن هذه الدوائر بالاجمال لا تختلف في نقص العناية وقلة الهمة

عن سائر بلديات الولايات وهذا مما يستوجب مزيد الاسف فقد سمعت
كثيرين من الاجانب يقولون الآستانة في الشتاء بلد الاوحال وفي الصيف
مدينة الغبار واكبرها على العموم يتشكون من ذلك
ومن منازه الآستانة منزهة الكاغدانة وهي ميدان ذو مروج اريجة
واقع عند آخر قرن الذهب يجري فيه نهر تنضب مياهه في الصيف لكنه
في الربيع - وهو الفصل الذي يُقصد فيه المنزهة المذكورة - كثير الماء الى
حد ان تجري فيه الزوارق الصغيرة آتية من الحليج وقد تذكرت به قول البهاء
زهير في النيل

حبذا النيل والمراكب فيه صاعدات بنا ومنحدرات
والمنزهة المذكورة هي في الربيع موعد الهناء وجمع الصفاء يَحْتال فيها
من ذوات الحدور وربات القصور كل طيبة انيسة وفتنة للعقول
نفسية قد لبست من انتم الحرير جلاب وذهبت في انواع الدلال
مذاهب تسير بهن المركبات دائرات وتنطف متمهلات وتجري
بهن الزوارق والقلوب خلفهن خوافق فهناك مئآت من الفتيان والشبان
قد لبسوا آخري من الملابس وأفرغوا من الحسن في اكل قالب وليس
لهم من كل ما ينظرون غير خلس الحديث وما يوحيه سحر العيون . وبالجملة
فالمكان في هذا الفصل مصرع العشاق ومسرح الغزلان

وفي هذا القسم من المدينة منزل رب المكارم العربية وعמיד السلالة
الشريفة الصيادية وكبير مشايخ الطريقة الرفاعية امام الصلاح والتقى
حضرة صاحب السماحة سيدي الشيخ ابي الهدى

مبارك الأسم اغر اللقب كريم الجرشى شريف النسب
وجوسقه هذا محط رحال الناطقين بالضاد من جميع الامصار والبلاد
والشيخ حفظه الله قبلة آمالمهم ومنتجع نواهم يستقبلهم بصدره الرحب
ووجهه الطلق ولسانه العذب وهو احد صدور دولة آل عثمان وفرد من
افراد الزمان قطب الآداب والعلوم ومالك ازمة المنثور والمنظوم وبالجملة
فكانه من الفضل معروف وبالزاي الهاشمية موصوف من قوم هم
بيض الوجوه كريمه احسابهم شمّ الانوف من الطراز الاول
وفي هذا القسم دور الاستشفاء لمرضى الفرنجة وغيرهم شادها بعض
السفراء وفيه دار العجزة التي بنيت باصر امير المؤمنين مولانا السلطان
عبد الحميد خان الثاني وهي احدى عجائب هذه العاصمة وقد بُدِل في سبيل
بنيانها ستون الف ليرة عثمانية ونيف وبها كنائس كثيرة وليس بينها
ما يستحق الذكر. ومن ابنتها الجميلة دار المصرف العثماني ودار حصر الدخان
وفي هذا القسم دار بطريكية الارمن الكاثوليك ايضاً
وفي هذا القسم قصور عديدة شيدها السلاطين العظام من آل عثمان
كغلطه سراي وهو اليوم دار المكتب السلطاني المتقدم الذكر. وطولمه
بفجه سراي وهو الذي بناه ساكن الجنان السلطان عبد الحميد خان
والد مولانا امير المؤمنين. وهذا القصر مبني على ساحل الخليج ممتد على
طول الف متر أو أكثر ومعظم حجارته من المرمر الابيض محفور عليها
نقوش تحاكي الورود والازهار والعروش والاكاليل والباقيات مطلية كلها
بماء الذهب وحوله جنان وحدائق غناء. وبهذا القصر الردهة الشهيرة التي

يقال انها تستوعب خمسة آلاف نفس وهي مزينة بالنقوش البديعة ومدهونة
بالالوان الزاهية واكثر ذلك مزوق بماء الذهب. وفي هذه الردهة يتقبل
جلالة الخليفة الاعظم تهاني اركان الدولة في عيدي الفطر والنحر. وفي
القسطنطينية قصور عديدة غير هذه واعظها شأنًا وارفعها جلالاً قصر
يلدز العامر وهو سلسلة قصور عظيمة بديعة على ارفع جبال هذا القسم
منها تحيط بها جنات وحدائق وادغال واحواض ورياض وسواقٍ جارية
وعيون دافقة وهضاب واودية قد كُسيت بالمروج الخضرة وظللتها الافنان
النضرة وازدانت بالازهار البديعة والورود الغريبة الكثيرة الالوان وفيها
طرقات تسير عليها المركبات وقد حتمها الاشجار الباسقة من حر الشمس
فصح فيها قول الشاعر

وقانا لفحة الرمضاء وادٍ سقاء مضاعف الغيث العميم
حللنا دوحه فئنا علينا حنو المرضعات على الفطيم

وهذا القصر العامر يطل من اكثر جهاته على الخليج الذي هو من
اجمل مناظر الطبيعة وابدعها وهو اليوم مستقر العز والجلال ومنبع الفيض
والتوال ومطلع انوار العظمة والكمالات ومنه توزع النعم على صنوف
المخلوقات وبهية سلطانه تحديق الابصار من جميع الامصار ولربّه
امير المؤمنين مولانا السلطان عبد الحميد الثاني يخضع كل العثمانيين
والمسلمين حرس الله مهجته وادام بالاعزاز والنصر دولته
أمين آمين لا ارضى بواحدة حتى اضيف اليها الف آمينا